الثورَة

التي أبقت الإسلام حيّا

آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم
مركز المقاوم للثقافة والإعلام

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين
وعـلى أولاد الحسين وعلى أنصــار الحسين

السلام على أنصار الحسين في كربلاء،
وفي كل لحظة من الزمن وفي كل بقعة من
المكان.

-المناسـبة: استقبال موسم عاشوراء ١٤٤١هـ
-الحضـور: عموم المؤمنين.
-المكـــان: الحسينية البحرانية في قم المقدسة.
-الزمـــان:
- الخميس ٢٩ اغسطس ٢٠١٩م الموافق ٢٧ ذي الحجة ١٤٤٠هـ
- الإثنيـــن ٢ سبتمبر ٢٠١٩م الموافق ٢ محرم ١٤٤١هـ
- الخميس ٥ سبتمبر ٢٠١٩ الموافق ٥ محرم ١٤٤١هـ

مقدّمـــة

أراد الحكم الأموي الطّاغوتي أن لا يصل الإسلام إلينا نحن الأجيال المتعاقبة، إلاّ الإسلام المصبوغ بالصبغة الجاهلية والهوى الأرضي وجنون السياسة.

ولقد كانت ثورة الإمام الحسين «عليه السلام» وشهادته العظيمة من أجل أن تحظى الأجيال بفرصة التعرّف على الإسلام المحمدي الأصيل، من دون أن تصل إليها تلك الصورة المشوّهة المزوّرة.

هي فرصة عظيمة تدين لها الأجيال بكل وجودها، تدين لكلّ قطرة دم سقطت في كربلاء، من إمام الثورة وأولاده وأصحابه، وتدين لكل تلك التضحيات الضخمة التي أبقت شعاع الإسلام متوهجاً.

ما هي أوضاع الأمة قبل الثورة الحسينية الخالدة؟ كيف أبقت الثورة إسلامنا العزيز حيّاً؟ وكيف أوصلت لنا الصورة الأصيلة الناصعة الصنّاعة الرائدة؟ وما هي قيم الثورة التي تمتد على طول الزمن؟

في هذا الإصدار الثقافي، نقدم لكم واحدة من أهم محاضرات سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم حول الثورة الحسينية، والتي يقرأ خلالها مسيرة الاصلاح ومعالمه وماذا أنتج، وهي سلسلة ألقاها سماحته خلال موسم عاشوراء العام ١٤٤١هـ/٢٠١٩م ارتأينا أن نجمعها في هذا الإصدار لتكون بين يدي القارئ العزيز.

مركز المقاوم للثقافة والإعلام

١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

"الثورة التي أبقت الإسلام حيّاً"

أولاً: الأمَّـة الإسلاميَّـة
في سنـة الستيـن هجريـــة.

[المعلَم الأوّل: الحُكم والحَاكِم]

عـلى مسـتوى الحكـم، الحاكـم يزيـد بـن معاويـة، مـن تنصيـب أبيـه، الخارجـي عـلى الإمـام المعصـوم "عليـه السـلام"، وهـو الـذي ينصـب الخليفـة ويورثهـا ليزيـد ولـده.

يزيـد وقبلـه معاويـة غاصبـان للخلافـة مسيئان للديـن والأمـة والإنسـانية، هـذا معلـمٌ مـن معـالم سـنة السـتين هجريـة في تاريـخ الإسلام.

كلكـم تعرفـون يزيـد، والعـالم كلـه يعـرف يزيـد ولكـن للتذكـير، يزيـد المتبـوأ لموقـعٍ مـن مواقـع رسـول اللـه "صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم" وأعنـي بـه موقـع الحكـم في النـاس والمترشـح من نبوة رسول الله.

مـا هـو رأي زيـاد بـن أبيـه عـن يزيـد، ووالي معاويـة ويزيـد، مـا هـو رأيـه في يزيـد؟ مـا تقـول الناس في ردٍ على معاوية؟

أراد منـه أن يأخـذ عهـداً بولايـة عهـد يزيـد عـلى أهـل الكوفـة، مـا تقـول النـاس إذا دعوناهـم إلى يزيـد وهـو يلعـب بالـكلاب والقـردة ويلبـس المصبّغـات ويدمـن الـشراب ويمـشي -أنـا أريـد أن أسـتحضر مقارنـة وتكـون حيّـة بـين الكـرسي الإلهـي العظيـم وبـين شـخصية الخليفـة الـذي صـار خليفـة تحـت نظـر المسـلمين، مسـتوى ذلـك المقـام مقـام رسـول اللـه ومسـتوى الرجـل الـذي يمـلأ هـذا الموقـع، ليسـت نكسـة وإنمـا نكسـة أمـة وكارثـة أمـة بـل كارثـة إنسـانية- يمـشي عـلى الدفـوف وبحـضرة الحسـين، أنـت تريـد أن نأخـذ عـلى النـاس بيعـةً ليزيـد خليفـة للمسـلمين، هـذا هـو يزيـد ومـن بحـضرة يزيـد؟ وبحضرتهـم الحسـين بـن عـلي، وعبداللـه بـن عبـاس، ويعـدد أسـماء أخـرى ليسـت مـن مسـتوى الحسـين ولا بـن عبـاس، وعبداللـه بـن عمـر، وعبداللـه بـن الزبـير.

صاحـب كتـاب الأغـاني: كان يزيـد بـن معاويـة أول مـن سـنّ الملاهـي في الإسـلام مـن الخلفـاء، وآوى المغنـين -هـذا مـا تحتـاج إليـه الأمـة الإسـلامية وهـذا مـا يحتـاج إليـه الديـن- وأظهـر الفتـك وشرب الخمـر وكان ينـادم عليهـا سرجـون النصراني مولاه والأخطل الشاعر النصراني.

المغـيرة بـن شـعبة، والي الكوفـة، أحـس بـأن معاويـة يريـد عزلـه عـن ولايـة الكوفـة، فـأراد أن يتملّـق إلى معاويـة ليعـدل عـن قـراره أو عـن نيتـه في اتخـاذ ذلـك القـرار، فأشـار عليـه بولايـة عهـد يزيـد، تـبرع مـن نفسـه وهـو المغـيرة بـن شـعبة ليقـترح عـلى معاويـة تقرّبـاً لـه بـأن يعهـد الولايـة إلى يزيـد، عندمـا أشـار عـلى معاويـة لولايـة العهـد ليزيـد أجابـه معاويـة -أب يزيـد-

ومن لي بهذا؟ كيف تمرر؟ من هو المجرم الكبير الذي يستطيع أن يصل بالأمر إلى هذا الحد؟ من لي بهذا؟ فقال المغيرة بن شعبة، أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد أهل البصرة، عندك مجرمان كفوءان في الإجرام، فلّما رجع المغيرة إلى أصحابه، هذا الذي اقترح تولية يزيد، ماذا يقول عن يزيد؟، يقول: لقد وضعت رجل معاوية في مغرزٍ بعيد الغاية أو الغيّ على أمة محمد، وفتقت عليهم فتقاً لا يُرتق -وفعلاً كلمته كانت تكشف عن مستقبل الأمة- وفتق المسلمين بولاية يزيد بعدُ لم يرتق وسيطول عليه الأمد قبل الرتق.

عبدالله بن حنظلة، وقد رجع من عند معاوية وأغدق عليه وعلى أبنائه المال الكثير، رجع إلى المدينة، ماذا رأيه في يزيد بن معاوية؟: أتيتكم من عند رجلٍ لو لم أجد إلا بَنّيّ هؤلاء لجاهدته بهم، لفسقه ومجونه وفتكه وشخصيته الغريبة عن الإسلام.

ماهو رأي المعصوم "عليه السلام" فيه؟ الإمام الحسين (عليه السلام): ويزيد رجل فاسق شارب خمر قاتل النفس المحرّمة معلن بالفسق.

هذا على مستوى الحكم والحاكم.

[المعلَم الثاني] على مستوى الأمة:

سنة الستون للهجرة، أوضاعها على مستوى الأمة:

عن الإمام الحسين (عليه السلام): إنّ الدنيا قد تغيّرت وتنّكرت، وأدبر معروفها، ولم يبقى منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل.

أي دنيا؟ دنيا أمريكا أو انجلترا؟ دنيا العالم الغربي؟ العالم الشرقي؟ لا.. الدنيا في بلاد الإسلام وفي أمة الإسلام، الصورة المعروفة للدنيا في الأمة الإسلامية والبلاد الإسلامية قبل يزيد ومعاوية قد تغيّرت، هذه صورة جديدة بعيدة عن الإسلام، غريبة عن الإسلام، معادية للأمة، سقط فيها الإنسان، الإنسان غزته الجاهلية وقعدت بهمّته وإرادته الخيّرة وأنسته ذكر الله، ووضعٌ حاكم يأخذ بالأمة في خطواتٍ متسارعةٍ إلى النهاية، إلى الإنسلاخ عن الإسلام، هذا هو تغيّر الدنيا الذي يعنيه أبو عبدالله (عليه السلام).

ابحث عن معروف، فتش الزوايا عن المعروف، تنظر في الرجال وما عندهم من معروف، فإن وجدت شيئاً وجدته قليلاً نادراً، إذا بقي خير فهو خيرٌ قليلٌ شحيح لا يروي، وفيه كدورة، لأن الصبابة النهائية تكون عادةً فيها الشوائب، هذا الوجه الخيّر المحدود من ما بقي من الدنيا.

الـسر هنـا، سر الإنتكاسـة هنـا، سر الفسـاد هنـا، سر التدهـور هنـا، سر المصيبـة هنـا: ألا تـرون إلى الحـق لا يُعمـل بـه، وإلى الباطـل لا يُتناهـى عنـه؟

لبقـاء الأمـة لابـد مـن العمـل بالحـق والتناهـي عـن الباطـل، عـدم السـكوت عـن المنكـر، جاء مـن صغـير أو جـاء مـن كبـير، مـن محكـوم أو حاكـم، وإلا فالإسـلام والحـق إلى ذهـاب.

مـن وصفـه (عليـه السـلام) للدنيـا، للإنسـان، للنـاس: النـاس عبيـد الدنيـا، والديـن لعـق عـلى ألسـنتهم، يحوطونـه مـا درّت معايشـهم، فـإذا محصـوا بالبـلاء قـلّ الديّانـون.

الديّانـون قليلـون الذيـن كانـوا عـلى اسـتعدادٍ بـأن يواجهـوا المحنـة المفروضـة عـلى الأمـة من الدولة الأموية .

الأمـة تتخـلى تحـت ضغـط سياسـة القمـع والتجويـع والمطـاردة عـن فريضـة الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر وتنصـاع للسياسـة الظالمـة العابثـة بأحـكام الديـن تحـت عامـل الخـوف، وطلـب الدنيـا وقـد شـحّت بسـبب الحكـم الظـالم في تخـلٍّ خطـير عـن رسـاليتها وصـارت تعـاني مـن غيبوبـة فكـرٍ وغيبوبة ضمير.

مـن طاغوتيـة يزيـد، ووهـن الأمـة، والإنشـغال بأمـر الدنيـا، يقـدم يزيـد عـلى أمـر واليـه عـلى المدينـة الوليـد بـن عتبـة بـن أبي سـفيان، بأخـذ البيعـة كرهـاً مـن الإمـام الحسـين (عليـه السـلام)، الإمـام المعصـوم المفـروض مـن اللـه عـز وجـلّ، وبـن بنـت رسـول اللـه (صـلى اللـه عليـه وآلـه) والشـخصية الأولى في نظـر الجميـع يومـذاك في المجتمـع الإسـلامي.

كان الإسـلام أمـام مصـير خطـيرٍ مـن التدهـور في واقـع حيـاة الأمـة لإسـتمرار الحكـم الأمـوي الـوراثي الجاهـلي، وأمـام تحريـفٍ بالـغ في عقيدتـه وقيمـه وأخلاقـه وأحكامـه، تضيـع معـه -هـذا الواقـع- صـورة الإسـلام الإلهيـة الحقيقيـة، بحيـث ينسـدّ البـاب، ولا يجـد طـلاّب الحـقّ مـن الأجيـال المتعاقبـة سـبيلاً للوصـول إلى الإسـلام، إلقـاء سـتار بـين الإسـلام وبـين الأجيـال بحيـث لا تـراه الأجيـال، الصـورة الإسـلامية الحقّـة ممنـوعٌ أن تصـل، المخطـط أن لا تصـل إلى الأجيـال المتعاقبـة بعـد الحكـم الأمـوي، ويحـلّ إسـلام الهـوى السـياسيّ والجاهـلي محلّـه في فهـم الأمـة قبـل واقعهـا، أكـبر مـن كـون الواقـع غـير إسـلامي أن يُنـسى الإسـلام، أن يُجهـل الإسـلام، أن تغيـب الصـورة الإسـلامية الحقيقيـة، أن لا تحـضر في السـاحة إلا الصـورة المشـوّهة الأرضيـة الشـيطانية الجاهليـة للإسلام.

أراد الحكـم الأمـوي أن لا يصـل إليكـم الإسـلام، إلا الإسـلام المصبـوغ بالصبغـة الجاهليـة والهـوى الأرضي وجنـون السياسة.

للإسلام كغيره من المبادئ حياةٌ في فكر الناس بحيث يتوّفرون على فهمه كما هو وفي صورته الحقيقية -لا في صورة مكذوبة عليه تسقط بقيمته وتهبط بمستواه وتخالفه في عقيدته وأخلاقه وأحكامه ونظمه ورؤاه- هذا نوع من الحياة لأي مبدأ في أمّته، في العاشقين له، في المنتمين له.

وللإسلام حياة أخرى هي حياته في واقع الناس، على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، ومرجعيته العملية في كل شؤون الحياة وبناءاتها المتعددة.

وكما لأي أطروحة حياتان، فكرية وعملية، ومن ذلك الإسلام نفسه، فكذلك لكل أطروحة ومبدأ مستويان من الغيبوبة أو الموت، فقد تموت الأطروحة على مستوى الواقع في واقع الحياة، فلا تجد لها أثراً في واقع الحياة، موجودة فكرياً، موجودة في الكتب، لكن لا أثر لها ولا انعكاس على واقع الحياة، هذا مستوى من الموت للفكرة، للأطروحة، للمبدأ، ويختفي أثرها في قيادة الأوضاع وصياغتها ولكن تبقى مفهومة على حقيقتها أو يبقى السبيل إلى فهمها مفتوحاً، ويبقى لها الإنتماء الفكري، وتكون موجودة في الكتب على واقعيّتها وصورتها الأصل، وليس هناك تهويل لها ينقض ما تدل عليه نصوصها، هذا مستوى من الحياة، حياة على مستوى الفكر، موت على مستوى الواقع.

وفي مستوى آخر، قد تموت على مستوى الفكر، والفكر أصل الواقع، الواقع يقوم على أساسٍ من الواقع البشري، الواقع السياسي، واقع الأوضاع الحياتية التي تصنع على يد الإنسان، وراء ذلك خلفية فكرية، والخلفية الفكرية قبل هذه الأوضاع.

قد تموت على مستوى الفكر، وتنسلخ عن حقيقتها، إلى حقيقة أخرى مجانبة ومعادية في فهم الناس، وهذا هو الموت الأكبر للأطروحات والمبادئ، والإسلام أريد له أن يموت هذا النوع من الموت، بحيث يُغيّب عن الأجيال، يطلبه عشّاق الحقيقة لكن لا يصلون إليه.

والإسلام كان مهدداً بصورة جديّة بهذا المستوى من الموت والتزوير وانقلاب صورته الإلهية إلى صورة أرضية جاهلية على يد السياسة الأموية التي كان يقودها يزيد وأمثال يزيد .

[مسؤوليّة الثّورة التّغييريّة]

أما مسؤولية الثورة -الثورة التغييرية- فهو انقاذ الإسلام فكرياً وعملياً من الموت والغياب والنسيان والتزوير وأن يكون القائد للحياة كل الحياة، للفكر كل الفكر، للواقع كل الواقع.

الهدف الأصل للثورة التغييريّة الواعية والمُخلصة أن تُقادُ حركة الأرض كل الأرض بالفكر الإسلامي وأن يسودها الواقع الإسلامي، أن يسودها واقع من صنع الإسلام، وما كانت المعادلات وواقع القوى على الأرض ليسمح لثورة الإمام الحسين (عليه السلام) أن يُعاد للإسلام موقعه القيادي لسياسة الأمة وكل شؤونها وصوغه لها في كل جوانب الحياة. هذا مطلب لثورة الإمام الحسين (عليه السلام) تصحيح الفكر والواقع، وتحكيم الإسلام فكراً وعلى مستوى حياة الواقع، لكن تمكين الإسلام في الظروف التي كانت يوم الثورة، موازين القوى المادية عند يزيد وعند الإمام الحسين، وواقع الإهتراء والسقوط في إرادة الأمة وضعف حالة الإيمان، كل ذلك عوامل ما كانت تعطي الإمام الحسين أن يحقق إنتصار الإسلام الإنتصار القريب السياسي وأن يحقق قيام حكم الإسلام على المستوى الفعلي، هذا كان ممتنع بحسب الظروف القائمة.

هل كان يقدر الإمام الحسين هذا أو لا يقدره؟ يعرفه أو لا يعرفه؟ لو لم يكن (عليه السلام) معصوماً وهو المعصوم، لكان لتربيته وعلوّ فكره وبيئته -بيئة أمير المؤمنين عليه السلام وبيئة الصراع الذي عاشه- لكان يعرف ذلك دقيقاً. لم يكن غائباً على الإمام الحسين أنّ تحقيق النصر العسكري بعيد المنال يومها، إذن ماذا يبقى من مبررٍ للثورة؟

الشيء الأهم، أن لا تختفي صورة الإسلام الحقيقي وتحلّ محلها في الواقع الفكري للأمة -واقع الإعتقاد، الفهم للدين- الصورة المشوّهة الجاهلة الأرضية.

أنا تحدثتُ عن هدفين للثورة، هدف يمتنع تحقيقه، هدف رأى الإمام الحسين أنه يُحقق بدمه الشريف ونفسه الزكيّة العالية، بشهادته وبشهادة الصفوة من بعده، صفوة من صفوة الأمة يوم كربلاء.

فكان على الثورة أن تنقذ الإسلام -اسقاط الحكم الأموي كان ممتنع، ليس عقلاً وإنما على مستوى لغة الواقع، يعني من المعادلات الواقعية، ميزان القوى وتفاوته الكبير، كم وجد يزيد من جيش وكم وجد الحسين من جيش؟ انظر إلى المستوى- كان على الثورة أن تنقذ الإسلام من أن يخسر صورته التي رسمها الوحي إلى صورةٍ أرضية جاهلية منحدرة في فكر

الأمة -أنا لا أتحدث عن واقع الأمة- بحيث تغيب الصورة الأصل للإسلام حتى لا يجدها الساعي الجاد للحصول عليها -لولا ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) لكنتَ تنّقب في كل ما جاء من حديث، وكل ما جاء في التاريخ، وكل ما كتب من التراث المنسوب للإسلام، ما كنت لتجد الصورة الإسلامية الناصعة في كل هذه المصادر، لأنّ كل شيء كان سيخضع للتزوير والكذب على الله ورسوله-.

[الدّم الزكيّ أبقى الإسلام حيًّا]

وقد أعطى الدم الزكيّ للإمام الحسين (عليه السلام) والشهداء الكرام معه، والتخطيط الدقيق للثورة، والتضحيات الضخمة، أن أبقت للإسلام صورته المُشعة الصَّنّاعة الرائدة وإمكان الوصول إليها لكل طالبٍ جادٍ للوصول إلى الحقّ وإن صعب الطريق إلى ذلك -نشاط الفكر التحريفي وإمكاناته العملية الهائلة والقائمة إلى اليوم، أنت الآن الباحث الغربي عن الإسلام الحق، الباحث من المسلمين عن الإسلام في صورته الحقّ، له طريق يوصله إلى هذه الصورة، لكن دونه حواجز وموجود ضباب وغيوم وتضليل فكري وتزوير وتراث مكذوب وهذا يصعب الوصول إلى الحقيقة، لكن الطريقة غير مسدود نهائياً، وكان له أن يبقى مسدوداً نهائياً لولا شهادة الإمام الحسين (عليه السلام).

أعرفت أين وجه العظمة لثورة كربلاء؟ أبقت الإسلام بعد محاولة شرسة ما كان لو تُركت إلا اندثر الإسلام.

وكانت الثورة خالصة لوجه الله الكريم، تقدّم الحسين (عليه السلام) للقتل، للشهادة، بوعي وتخطيط في مدة طويلة، منذ طلب البيعة إلى يوم كربلاء أشهر، والحسين (عليه السلام) ينظر بعين البصيرة بأنه مقتول وعنده الخبر الغيبي عن طريق رسول الله (صلى الله عليه وآله)، هذا يقاتل لنصر؟ ميؤوس منه، يعلم أنه لا نصر عسكرياً. لينجو؟ يعرف أنه يستشهد. هذه حركة تُحمل على أن فيها طلباً للدنيا؟ طلباً للجاه؟ جاهي بعد موتي صفر لا قيمة له، الحسين (عليه السلام) عظيم ويعرف هذا، أستشهد حتى تكون المآتم؟ حتى نلطم على صدورنا؟ أستشهد في سبيل حياة المبدأ، ومن أجل الله تبارك وتعالى، وفي تقيّدٍ تامٍ بالإسلام بكليّاته وبجزئياته وتفاصيله، بأحكامه، بأخلاقه.

[وظيفة الحسين (ع) من وحي القرآن والسنّة]

ثانياً: ماذا كان على الإمام الحسين (عليه السلام) أن يفعل أمام ظروف الأمة سنة ستين هجرية؟

ماذا كان عليه أن يفعل أمام جاهلية السياسة وطاغوتيتها وطوفانها الجنوني الساحق للإسلام؟ أمام انحدارة الأمة وسوء أوضاعها وسقوط ارادة الأمة؟ أمام إرادة يزيد واكراهه على الدخول في بيعته مع بُعد يزيد في كل أبعاد شخصيته عن الإسلام ومعاداته الشرسة للإسلام؟ أين يزيد من موقع القيادة الإسلامية وإمامة الأمة؟ هذا الساقط المكشوف سقوطه يريد أخذ البيعة من الإمام المعصوم (عليه السلام)، أمام هذا كلّه ماذا كان على الإمام الحسين أن يفعل؟

ماذا يقول قرآننا الكريم، ماذا يقول قرآن الله عز وجل، قرآننا النازل لنا؟

(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

أمة يجب أن تستمر مع كل زمن، في كل مكان، حين تغيب هذه الأمة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، لا حق ولا هدى ولا إنسانية، واجبٌ ولابد وبكل تأكيد من أن تقوم الأمة بصناعة هذه الأمة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر إنْ قلنا بأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من الواجب الكفائي، فيجب عن الأمة أن تحضّر لوجود هذه الأمة وأن تعمل جادة على استمرار هذه الأمة ليتأدى الواجب الكفائي.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ..)

نداء يخاطب في المؤمنين إيمانهم، وينطلق من أمره إليهم من إيمانهم، ويبين بأن قاعدة الإسلام يقوم عليها هذا الأمر، وأنّ من كان مؤمناً حقاً ليس له أن يتخلّف عن هذا الأمر.

كان الوضع يحتاج إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو لم يكن؟ الحسين (عليه السلام) يكون خارج الأمة التي تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

حين ينادي الله عزّ وجلّ عباده المؤمنين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)، الحسين أين موقعه من هؤلاء الذين نودوا بنداء الله، هو الأول في وقته، حينما يُقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) من هم أبرز المصاديق ذاك اليوم؟ هو الإمام الحسين (عليه السلام)، الخطاب عامٌ ويراه شخصياً عليه.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ...)، ليس هناك قعود، هناك حركة، جهاد، بذل، تضحية، عمل دؤوب، جدٌّ جاد، في أي سبيل؟ ولوجه مَن؟ لوجه الله، ولإقامة دينه في الأرض، وإعلاء كلمته.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ)

هذه نداءاتٌ لا يفهمها أحدٌ الفهم الكامل كما يفهمها الحسين (عليه السلام)، ولا تملك عليه كلّ وجوده كما تملك على الحسين (عليه السلام) كل وجوده، أيصمد الحسين (عليه السلام) أمام أمر الله ونهيه إلا أن يُصعق؟ إلا أن يذوب؟ إلا أن يزهد في هذه الحياة وستقذر هذه الحياة وهو مأمورٌ من الله أن يسلك طريق الموت والشهادة.

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)

كتاب الله ميزان، رسول الله ميزان، حديث رسول الله ميزان، الأئمة ميزان، فرقانٌ بين الحق والباطل، معيار لما هو حق وما هو باطل.

كم وزنك من الحق؟ كم وزني من الحق؟ أجيبك بأن وزنك ووزني من الحق بمدى الاقتراب أو الابتعاد من النبي (صلى الله عليه وآله).

وظيفة لابدّية نزلت من أجلها الكتب وجاء بها الرسل، تقيمون العدل، وأول القسط توحيد الله، وتضييع قضية توحيد الله عزّ وجل فيها ضياع كلّ الحقّ، وإذا كان توحيدٌ في الأرض وحكم التوحيد الأرض انحلّت مشكلات الأرض كلها، اعطني توحيداً صادقاً -الدين يقول- أعطك دنياً آمنة سعيدة راقية رائعة، أعطيك إنساناً عملاقاً ملاكاً.

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)

والحديد وبأسه الشديد مشهورٌ من جبهة الباطل في وجه الحق، فحين لا يكون حديد ولا بأسٌ شديد في مقابل حديد الكفر وبأسه الشديد لا يكون إيمان، ولا يكون إسلام، ويندثر الحق.

قل بالصريح، يا رسول الله، قل أمر ربي بالقسط، فكلنا مأمورون بالقسط، وكلنا مأمورون بإقامة القسط، أنا مأمورٌ بالقسط في حدود شخصيتي فقط؟ أو أنّ عليّ المشاركة في إقامة القسط على مستوى الأمة وعلى مستوى الإنسانية؟ الثاني هو الصحيح.

(الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

وهناك أيضاً منافقون ومنافقات، وكافرون وكافرات، أولياء بعضهم البعض، ولاية بين الناس نابعة من ولايتهم للشيطان، وولاية بين فريق آخر بين أفراد هذا الفريق ولكنها نابعة من الولاية لله عز وجلّ.

(فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ)

أتفرج على الفساد في الأرض؟ على الظلم في الأرض؟ على انتهاك الحرمات في الأرض؟ على التلاعب بالإسلام في الأرض؟ على بيع الأرض الإسلامية للكفر؟ على التآمر على الأمة الإسلامية وعلى الإسلام؟

(فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ) توبيخ من الله عز وجل لقرونٍ مضت، شحّ فيها من ينهى عن الفساد في الأرض، هذا خاص بهم أو يشملنا نحن؟ واضحٌ هو الجواب.

(فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ..)، لديهم بقية من عقل، بقية من ضمير، بقية من وعي بصيرة، من حسّ فطري بالحاجة إلى الله عز وجل ووجوب طاعته.

(فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) قلة ناجية هي التي نهت عن الفساد في الأرض، الباقي ما حالهم؟ المتخلفون عن النهي الفساد في الأرض ظلّام، ظالم ظالم إذا تخلفت عن النهي عن الفساد في الأرض، وإذا لم آمر بمعروف وأنهى عن المنكر. محكوم عليهم بالإجرام.

(أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)

الحياة ليست للراحة، الراحة في الجنة للمتقين، أما الدنيا فهي دار بلاء، ودار امتحان، ودار صِدام، ودار مواجهات، دار تغالب، فيها هذا كلّه.

حتى لا تكون فتنة في الأرض، وحتى لا يتعرّض أهل الإيمان لصعوبات، لابد أن يعدل الكفار عن كفرهم، وأن تكون الأرض ليس فيها إلا مؤمنون، حينئذ يسهل طريق الإيمان ولا تكون كلفة المؤمن كلفة عالية، أما والحال أنّ الكفر يبقى، والله قادرٌ على أن يقضي على الكفر في لحظة واحدة لكنه الإمتحان.

استبعد هذا الظن، هذا التصوّر، هذه الأمنية، أن تكون مؤمناً، أن تكون أمة مؤمنة من غير متاعب في أوضاع جاهلية، أوضاع معادية، مع وجود عناصر بشريّة شريرة شيطانية تسعى لأن تكون آلهة الأرض.

(وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)

سُـنّة لا تتوقـف -باللغـة العاميـة "مـش بـوزك"-، اللـه يعلـم الصـادق ويعلـم الـكاذب قبـل موقـف هـذا وقبـل ذاك العلنـي وقبـل الإمتحـان، ولكـن ليكـون صـدقٌ عمـلي مبرهـنٌ بالعمـل، كـذبٌ مبرهـنٌ بالعمـل، صـدقٌ يحمل دليلـه العمـلي، وكـذب يحمـل دليلـه العمـلي، هـذا متوّقـف تعلّـق العلـم بـه عـلى حصولـه، فـأن يحصـل أولاً في الرتبـة ليُعلـم، أمـا أنّ فلانـاً في داخلـه صـادق الإيمـان أو كاذب الإيمـان فهـذا معلـوم عنـد اللـه أزلاً، ومعلـوم عنـد اللـه أن هـذا سـيظهر صدقـه عمـلاً وذاك سيظهر كذبه عملاً.

هـذا القـرآن، هـذه أوامـره، والحسـين (عليـه السـلام) لا يفـارق القـرآن فكـراً ولا عمـلا، تسـألني مـاذا كان عـلى الحسـين أن يفعـل؟ هـذا مـا قالـه القـرآن، وهـذا مـا وقفـه الحسـين (عليـه السـلام) في إسـتجابةٍ لا تـردد فيهـا لنـداءات القـرآن الكريـم.

وغفر الله لي ولكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تتمة [وظيفة الإمام الحسين من وحي القرآن والسنّة]

وصلتُ في الحديث عمّا كان يواجه الإمام الحسين عليه السلام من وظيفة، وما كان عليه أن يتحمله من مسؤولية بحسب القرآن الكريم وبحسب السنّة المطهّرة. مرّ الكلام عن المسألة بلحاظ آيات القرآن الكريم، أطرح بعض الأحاديث على أن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يحتاج وجوبها إلى بيان، قضيةٌ تمثل ضرورة من ضرورات الإسلام.

ولكن مع ذلك، أذكر مع رسول الله "صلى الله عليه وآله": أن الله يبغض المؤمن الضعيف الذي لا زبر له، وقال: هو الذي لا ينهى عن المنكر.

مؤمن، يصلي، يصوم، يلتزم بفرائض الإسلام كلها، إلا أنه لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، بذلك يكون ضعيفاً يبغضه رسول الله "صلى الله عليه وآله"، أي يبغض فيه ضعفه، وهذا الضعف يمثل ثلمة في إيمانه.

ما هذا الضعف؟ هو أنه لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر.

وعنه "صلى الله عليه وآله": أنا آمركم بخمس الله أمرني بهم، بالجماعة (١)، والسمع والطاعة (٢)، والهجرة (٣)، والجهاد في سبيل الله (٤).

(١) "الجماعة" أي التزام جماعة المسلمين، جماعة الحق، وجماعة الحق من كان على الحق ولو كان واحداً في قبال عشرة ملايين أو خمسين مليون، لأن ما يحقق معنى الجماعة في ترابطها وأخوّتها وتماسكها إنما هو الإيمان والحقّ، أما أهل الباطل فهم ليسوا بجماعة يقوم لها بناءٌ على أساسٍ متين، ولا تستحق هذا العنوان، هي أهواء متشتتة، طموحات متضاربة، تراهم صفاً واحداً، تراهم قلباً واحداً وهم على أهواء ونيات شتّى، بهذا لا يكونون جماعة.

(٢) "السمع والطاعة" ليزيد؟ لعالمٍ فاسق؟ لحاكمٍ فاسق؟ السمع والطاعة من غير مناقشة، من غير توّقف في تبيّن قيمة الرأي والكلمة تصدر من هذا الذي تجب طاعته، هي طاعةٌ لمن؟ سمعٌ وطاعةٌ لمن كان السمع والطاعة له سمعاً وطاعةً لله، ومتى نحرز ذلك ونضمنه؟ إنما يُضمن بتحقق شرط العصمة في هذا الآمر الناهي، ، نبيٌ معصوم أو إمامٌ معصوم.

(٣) "الهجرة في سبيل الله"، اعتزازاً به، تقديماً له على كلّ الدنيا، الإنتماء الدينيّ الحقّ مقدمٌ في حياة المسلم، إيمانٌ من داخل أعماقه بأنه الأهمّ في وجوده، وأنّ شيئاً ما يَعدل من هذا الإنتماء شيئاً لا يوجد، كل ما دونه لا يعدل منه شيئاً، يعني لا يساوي منه شيئاً، فتكون من أجله الهجرة، الإحتفاظ بالإيمان وبالإسلام تكون من أجله الهجرة.

(٤) الجهاد في سبيل الله المعني به فيما يظهر هنا هو أعمّ من المعنى المُصطلح، وهو الحرب الإبتدائية التي تقوم على دعوة أهل الكفر للإسلام.

عن الإمام عليٍ "عليه السلام"، تقول كلمته المروية عنه: ظهر الفساد فلا مُنكِرٌ مُغيّر، ولا زاجرٌ مزدجر.

ماذا يعني؟ يعني إنقلاب على الإسلام، غياب إسلام، نسيان الإسلام، تخلي عن المسؤولية الإسلامية، يعني الفساد في الأرض.

استعظم هذا "عليه السلام" واستكثره لأنه فساد في الأرض، نتيجة هذا -أمر غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- هو الفساد في الأرض ومنه الظلم.

عن الإمام الحسين "عليه السلام": كان يُقال لا تحلُّ لعينٍ مؤمنةٍ ترى الله يُعصى فتطرف حتى يغيّر المنكر القائم.

كأنه شائعٌ بين المؤمنين ولا ضابيّة في هذا القول، في الوسط الإسلامي، في الوسط المتشرع، في الوسط العلمائي، في وسط الصحابة المقربين من رسول الله.

هذا القائل نفسه "عليه السلام"، ماذا كان موقفه الفعلي من الوضع القائم يوم يزيد ويومه، ويوم أن شطّ وضع الأمة عن الإسلام مسافاتٍ ومسافات على يد فساد وظلم وبغي وجاهليّة السياسة الأموية.

الموقف الفعلي للإمام الحسين "عليه السلام" في تشخيصه هو للوضع، هو شخّص الوضع واتخذ موقفه وهو المعصوم "عليه السلام" الذي يعطي موقفه شرعيةً لكلّ موقفٍ مماثل.

تشخيصه، أو حكمه على الوضع المُشخص بصفاته المعيّنة، هذا الحكم الذي يتخذه هو حكمٌ ليس في حقّه فقط وإنما في حقّ كل مُكلّفٍ عاش تلك الظروف وشهد ذلك الواقع وتحقق في حقه ذلك الموضوع وكانت متوّفرة له شروط النهضة والمواجهة -الشروط الشخصية والشروط الظرفية والموضوعية-.

تشخيص الإمام الحسين "عليه السلام" كما تعرفون الوضع: إن هذه الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برما. إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون.

نفس كلمة أمير المؤمنين "عليه السلام" وهو أنه لا يوجد أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، الدنيا قد تغيّرت، كان يسودها الإسلام، يحكمها الإسلام، كانت النفوس إرادتها إرادة إسلامية، موقفها موقفاً

إسلامياً، فهمها فهماً إسلامياً، كانت أمة تجسّد الإسلام بدرجةٍ ملحوظة، اليوم هي أمةٌ أخرى وعلى الخط الآخر وفي الخندق الآخر بدرجة وأخرى كلّها خطيرة.

-قلّ الديانون-، الأمة قلّ فيها الديانون، فلم تعد تلك الأمة المؤمنة التي صنعها رسول الله "صلى الله عليه وآله".

(..وأدبر معروفها)، دنيا بلا معروف يعني بلا سداد، بلا صواب، بلا حكمة، بلا تقوى، بلا رعاية مصالح، بلا عدل، بلا نزاهة، هذا هو معناها، وهذه دنيا ليست هي دنيا الإسلام.

(..لم يبقَ منها إلا صبابة كصبابة الإناء) شَحّت، ضَؤلت، تفُهَت، تكّدرت، ساءت، تبعث على الكآبة، تبعث على الإشمئزاز، لا تُستساغ، هذا ما بقي من الدنيا، إذا كان فيها خير فهو ذلك الخير القليل الشحيح، ولا يكاد يسلب منه شيء بلا دخيل.

(..وخسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل) حياة وَسخة، ذليلة، لقمة ذليلة، تأكل لقمتك ولكن ليست اللقمة الحلال، في الكثير يأكل الناس اللقمة ولكنها ليست اللقمة الحلال، وليست اللقمة الهنيئة الآتية عن طريق الشرف وعن طريق الإحتفاظ بالعزّة والكرامة والإنسانية، لقمة ربما باع من أجلها دينه، ربما باع من أجلها عرضه، بيت صغير، ولكن كان ثمن هذا البيت كلّ صلته بالله تبارك وتعالى، فهو عيشٌ خسيس.

من كلمته "عليه السلام": ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه؟

الوضع ليس سليماً، الوضع يحتاج إلى تصحيح، الوضع يحتاج إلى ثورة، الوضع يحتاج إلى نسف وإقامة بناء جديد.

والسرّ أين؟ السرّ في تحكّم يزيد، في خلافة يزيد، في السياسة الأموية المنحرفة عن خط الله وعن عقيدته وحكمه.

كلمته "عليه السلام": أيها الناس إنّ رسول الله قال "من رأى سلطاناً جائراً ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعداون فلم يغيّر عليه بفعلٍ ولا قول كان حقّاً على الله أن يُدخله مدخله".

مدخل ذلك السلطان الجائر، شريك، مسؤول، شريكٌ للسلطان الجائر، مسؤول أمام الله عزّ وجل، أدخل مدخل السلطان الجائر، لماذا هذا كلّه؟ لأنيّ لم أغيّر عليه بفعلٍ ولا قول، وأنا أملك فعلاً أو أملك قولاً تغييرياً لهذا الوضع الظالم الجائر البعيد عن الله عزّ وجل.

الإمام أمام هذا، وتشخيصه، يتخذ قراره الذي لا رجعة عنه فيه.

يروى مما سمعتُ وتسمعون من التحذيرات والنصائح المخلصة وغير المخلصة للإمام "عليه السلام" بأن يعدل عن وجهة نظره في مواجهة الحكم الطاغوتي، والوقوف إلى آخر لحظة في حياته أمام جور ذلك الجائر.

القرار لا رجعة فيه، (وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً) يُبيّن مستوى خروجه وثورته وأنها على أي خط ومن أجل أي هدف وقُربةً لِمن، وتأخذ هدفها وأسلوبها وأحكامها ومشاعرها وطموحاتها من أي مصدر.

بياناً لهذا، قال (وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مُفسداً ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي)، مَن جدّه؟ أأحدٌ يجهله؟ جدّه رسول الله حامل كلمة الله إلى الأرض وأهل الأرض، صاحب المنهج القرآني اللاحب الواضح السماوي الرفيع.

كيف يكون إصلاح هذه الأمة؟ إصلاح أمة جدّه رسول الله، أمة القرآن، أمة السنة المطهرة، بمَّ يكون؟ بالعودة الحقيقية الصادقة للإسلام، فهدفه أن يعود بالأمة، بمسار الأمة، بحركة الأمة، بتطلّعات الأمة، بفكر الأمة، بإرادة الأمة، بنفسيّة الأمة، بعلاقات الأمة إلى الخط الإسلامي الصحيح، تطبيق الإسلام وهي وظيفة الأنبياء والأوصياء.

(..وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي)، الإصلاح ليس بالمعنى السياسيّ الموجود الذي هو في مقابل التغيير، قد تُستعمل كلمة الإصلاح في مقابل التغيير الشامل، الإصلاح بالمعنى الإسلامي هو إصلاح كل ناحية من نواحي الحياة، إصلاحٌ لا يتوّقف عند حدّ، إصلاحُ مسيرة الإنسان في اتجاهه إلى الله ومسار الإنسان إلى الله لا يتناهى، فدائماً نحن نحتاج إلى تصحيح وإصلاح وتخليص من الشوائب، من عراقيل، من مشاعر، من قصورات

.

(أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي)، سيرة جدّه بما هو رسول، وهو ليس برسول لكن الرسول له وظيفة أخرى وهي الإمامة، الرسول رسولٌ وإمام، نبيٌ وإمام، السيرة في الناس كان بوصفه إماماً، سيرة إمامته "صلى الله عليه وآله" في الناس، سيرة إمامة عليٍ "عليه السلام" في الناس بما هو إمام، بهذه السيرة.

متى يتأتى له أن يسير بسيرة جدّه رسول الله؟ لابد أن يحكم، لابد أن يتسلّم الأمور، لابد أن تكون بيده زمام دولة الإسلام حتى يستطيع أن يسير بسيرة رسول الله "صلى الله عليه وآله" في الناس"، هو يريد أن يسير بسيرة رسول الله في حدود عائلته؟ في حدود العلاقات مع أصدقائه؟ أو يعني أنه يريد أن يسير بسيرة رسول الله في فضاء الأمة الكبير والساحة العريضة للأمة

وإنْ اتسعت ما اتسعت؟ وهذا يحتاج إلى قوة وحاكميّة وسلطة.

ستقول لي بأنّ الإمام -إذن- أراد أن يحكم، أقول لك نعم أراد أن يحكم، هو أراد أن يحكم مع معرفته بأنه لا يحكم، يعني داخلٌ في الغرض الإسلامي، الصحيح أن يحكم، أن ترجع القيادة له، حين يوافق مريداً مختاراً غير مضطرٍ على أن تكون القيادة بيد يزيد أو أقلّ من يزيد سوءً ولا تكون في يده فهو هنا ليس على خط الله تماماً.

الإمام الحسين "عليه السلام" ليس له أن يتخلى عن موقع الإمامة، ليس مُخيّراً بين أن يكون إماماً وبين أن لا يكون إماماً، فرضٌ واجبٌ عليه أن يتوّلى شؤون الإمامة مع الإمكان.

هذا الهدف وهو هدف الإمامة الفعليّة للناس، طبعاً ليس حكماً وإنما حكم جزء من الإمامة، تلك الإمامة الفعليّة ما كان ممكن تحقيقها -وكلمات الإمام الحسين كلها تكشف عنها لأنه أكد أكثر من موقف وتلقى خبراً من رسول الله ومن أبيه ومن أم سلمة بأنه يُقتل ولا ينتصر انتصاراً عسكرياً- عندما نقول أنّ هذا هدف فليس معنى أنه يتحقق في نظره.

ولكن حتى يوضع الناس على طريق الله حقّاً وصدقاً لابد من حاكميّة الرسول أو حاكمية وصيٍ من أوصيائه ولو في المدى الزمني الذي بَعدُ لم تصل فيه الأمة إلى الرشد الكافي وعدم الخوف من وضعها على النأي أو الميل عن الإسلام، ولو في هذه المدة التي قد تستغرق ألف سنة أو أكثر من ألف سنة في التربية الإلهية التي يمارسها رسول الله "صلى الله عليه وآله" وأوصيائه للإنسان على الأرض.

(..وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين)، التأشير كلّه إلى هدف فعلية الإمامة على الأرض، وممارسة الدور الحاكم للأمة، هذا لن يكون، والتطبين هنا على الموت وهو يشاهد الشهادة بين عينيه وفي ناظريه واضحة كالشمس.

تقول كلمته "عليه السلام" في خطبته -نقرأ استذكاراً لإحياءنا، نحن كلنا نعرف هذه النصوص، ولكن نريد أن نحيي بها قلوبنا وأن نُنير بصائرنا ونذّكر هذه الذات المُتلكئة التي تملكها الوساوس وحب الدنيا، نريد أن نرشّدها ونضعها على الطريق ونعطيها بصيرة-: خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ، وَ مَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وَ خُيِّرَ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَاقِيهِ، كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ، بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَ كَرْبَلَاءَ

فَيَمْـلَأَنَّ مِنِّـي أَكْرَاشـاً جُوفـاً، وَ أَجْرِبَـةً سُـغْباً لَا مَحِيـصَ عَـنْ يَـوْمٍ خُـطَّ بِالْقَلَـمِ، رِضَى اللَّـهِ رِضَانَـا أَهْـلَ الْبَيْـتِ، نَصْبِرُ عَـلَى بَلَائِـهِ وَ يُوَفِّينَـا أُجُـورَ الصَّابِرِيـنَ، لَـنْ تَشُـذَّ عَـنْ رَسُـولِ اللَّـهِ صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَ آلِـهِ لَحْمَـةٌ هِـيَ مَجْمُوعَـةٌ لَـهُ فِي حَظِـيرَةِ الْقُـدْسِ تَقَـرُّ بِهِـمْ عَيْنُـهُ، وَ يُنَجِّـزُ لَهُـمْ وَعْـدَهُ، مَـنْ كَانَ بَـاذِلًا فِينَـا مُهْجَتَـهُ وَ مُوَطِّنـاً عَـلَى لِقَـاءِ اللَّـهِ نَفْسَـهُ، فَلْيَرْحَـلْ فَـإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحاً، إِنْ شَاءَ اللَّه“

(خُـطَّ الْمَـوْتُ عَـلَى وُلْـدِ آدَمَ مَخَـطَّ الْقِـلَادَةِ عَـلَى جِيـدِ الْفَتَـاةِ)، قضيـة المـوت قضيـة حتميـة، وفي نفـس الوقـت هـي زينـة، المـوت للمؤمنـين زينـة، نقلـة للسـعادة، نقلـة مـن سـعادة محـدودة -في أحسـن أحوالهـا- إلى سـعادة مطلقـة، وهـو قـلادة زينـة، قـلادة عـلى جيـد الفتـاة، لمـاذا تضـع الفتـاة القـلادة عـلى جيدهـا؟ للتزيّـن، والمـوت كذلـك.

(وَ مَـا أَوْلَهَنِـي إِلَى أَسْـلَافِي اشْـتِيَاقَ يَعْقُـوبَ إِلَى يُوسُـفَ)، هـو شـديد الإشـتياق، بالـغ الإشـتياق، أسـلافه ماتـوا، توفـوا، استشـهدوا، مشـتاقٌ إلى مصيرهـم، ومشـتاقٌ إلى مَلئهـم.

(وَخُـيِّرَ لِي مَـصْرَعٌ أَنَـا لَاقِيـهِ، كَأَنِّي بِأَوْصَـالِي تَقَطَّعُهَـا عُسْـلَانُ الْفَلَـوَاتِ، بَـيْنَ النَّوَاوِيـسِ وَ كَرْبَـلَاءَ فَيَمْـلَأَنَّ مِنِّـي أَكْرَاشـاً جُوفـاً، وَ أَجْرِبَـةً سُـغْباً) الذئـاب، ووحـوش مفترسـة، تمـلأ أجوافهـا الفارغـة مـن دمـاء الحسـين ”عليـه السـلام“. بطـون جائعـة تأخـذ مـن أجلهـا الوحوش الدم.

(لَا مَحِيـصَ عَـنْ يَـوْمٍ خُـطَّ بِالْقَلَـمِ)، أيهـا الحريـص عـلى الدنيـا، أيهـا البخيـل بحياتـك عـلى اللـه، أيهـا الـذي تفـرّ مـن كلّ موقـفٍ تشـمّ منـه ريـح المـوت وإنْ كان فيـه الجنّـة، أيـن تذهـب؟ لا محيـص، ليـس هنـاك مفـر، لا وَزَر، قضيـة حتميّـة، فإمـا أن تمـوت عـلى الفـراش وفي سـبيل الشـيطان، أو تمـوت شـهيداً مـن أجـل الرحمـن تبـارك وتعـالى فتكـون الحـيّ الـذي يُـرزق بعـد لحظـةٍ مـن موته.

(رِضَى اللَّـهِ رِضَانَـا أَهْـلَ الْبَيْـتِ)، هـذا هـو إمامنـا، الإمـام الحـقّ الـذي يأخـذ بيـد النـاس، حركـة الأرض، كل وضـعٍ في الأرض، كل خاطـرةٍ في القلـب إلى اللـه، هـو مـن تحـرز فيه بـأن رضـاه رضى اللـه، وأهـل البيـت ”عليهـم السـلام“ قـد أحرزنـا فيهـم بـأنّ رضاهـم رضـا الله.

(..ألاَ ومـنْ كَانَ بَـاذِلًا فِينَـا مُهْجَتَـهُ)، ليسـت مكاسـب دنيـا، رحلـة جهاديّـة، سـيوف تُشـهر، ونفـوسٌ تسـقط عـلى بوغـاء كربـلاء، ودمـاءٌ تنـزف، وأرواح تصعـد إلى اللـه، هـذا هـو مفـاد رحلـة أبي عبداللـه ”عليـه السـلام“ في خـبره إلى أصحابـه، هـل يمكـن أن تكـون هـذه دعايـة سياسـية؟ أسـلوب مـن يريـد أن يجمـع أنصـاراً لنصرتـه؟ لابـد أن يغـرر بالنـاس ويعدهـم بالوعـود المعسـولة، بالنـصر القريـب، بالنـصر الدنيـوي، المكاسـب الدنيويـة الهائلـة، سـنفتح، سـنهيمن، سـتحكمون، هـذا غـير

موجود، ستموتون، ستستشهدون، هذا لحكمةٍ خاصة ولخصوصية في المعركة، لأنها معركة غير رابحة عسكرياً، وربحها غير الربح العسكري، ربحها إبقاء الإسلام الصافي الصادق، وتقديمه من خلال صفوة بشرية تبرهن على صدق الإسلام من خلال صلابتها، صدق إيمانها، وفائها لقيادتها، وعيها، منهجها القرآني، لو تقدّم مع الحسين "عليه السلام" عشرة آلاف، والجيش الأموي ثلاثين ألف مثلاً، وفرّ من جيش الحسين خمسة آلاف، هذا يسجل كسلبية من سلبيات هذا الصف أو لا؟

الإمام الحسن "عليه السلام"، الإمام علي "عليه السلام" كان لديه أمل بالنصر العسكري، ويريد أن يحقق النصر العسكري، فهو لا يحاول أن يبعد كل العناصر التي لم تستوفي حقيقة الإيمان، أما الإمام الحسين "عليه السلام" هؤلاء لا يخدمون هدفه، لأن هدفه أن يُقدّم من خلال واقعة كربلاء إسلاماً قرآنياً صادقاً ينطق للناس بلسانٍ مُبين بأننا نحن قرآنيون.

وقرأتم وسمعتم من هم أنصار الحسين "عليه السلام" في كربلاء.

(..وَ مُوَطِّناً عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحاً، إِنْ شَاءَ اللَّه)، تمشي مع الحسين "عليه السلام" وأنت مقرر وموّطن لنفسك بلقاء الله، تستشهد، الذي هو بهذا المستوى، بهذه الصورة فليرحل معنا، الباقي ابتعدوا..

(..فَلْيَرْحَلْ) معنا، القرار الجازم الحاسم الحدّي، الذي لا تردّد فيه بمقدار شعرة (فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحاً، إِنْ شَاءَ اللَّه)، لا أحد يتوقع التريّث، تفكّر، تردد.

ماذا قال في كربلاء "عليه السلام"؟

(ألا وإنّ الدعيّ بن الدعيّ قد رَكَزَ بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة)

بعيد بعيد بعيد.. الذلة في الأرض ونحن في السماء، فأين تكون تنال منّا الذلة شيئاً.

هل استبعاد الذلة مزاجي؟ وقتي؟ نفسٌ استثارات وتُحديت فأعطت هذا النوع من ردّ الفعل، أصول ثابتة يقوم عليها رفض الذلة في أهدأ لحظة، وفي أسعد لحظة حياة، في ليلة عرس، في لحظة نصر، في قمّة الفرح الدنيوي والإعتزاز الذي قد يعيشه الآخرون بالدنيا لا تذل نفس الحسين "عليه السلام" أمام أي موقفٍ صعبٍ وأمام أي إغراءٍ كبير، هذه هي الذلة التي ينفيها الإمام، ليس رفضاً إنفعالياً آنياً للذلة، رفض مبدئي غائص في الأعماق.

(..يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون) نحن نستمدّ هذا الشعور، وهذا الخيار، من صلتنا بالله عز وجل، والله لا يرضى

الذلـة لعبـده، حتـى مـن هـم أقـل مـن الإمـام الحسـين "عليـه السـلام" وإلا لمـاذا أدخـل المؤمنـون، يعنـي حتـى مـن هـم أقـل مـن الحسـين مثـل حجـر بـن عـدي وغـير ذلـك، يـأبى الذلـة للحسـين "عليـه السـلام"، وقـد عـزّ عـلى نفـرٍ أن يتخـذ الإمـام الحسـن "عليـه السـلام" موقـف الصلـح وإنْ كان مـن منطلـق الفهـم المعصوميّ والوعـي الإسـلامي والحكمـة الدقيقـة وليـس مـن منطلـق شـوبٍ مـن ضعـفٍ في النفـس، ومـع ذلـك عـزّ عليهـم ذلـك، وجهـروا بمـا يـرون أنّـه لا يليـق بـأن يجهـروا بـه للإمـام الحسـن "عليـه السـلام" من لوم.

(..وحجـورٌ طابـت وطهـرت) التربيـة، التربيـة، التربيـة، طهـارة الحجـر، العفّـة، النزاهـة في الأم، في الأصـل، هـذا يُخـرج نوعيّـة خاصـة مـن النـاس. أوجـد حجـور طيّبـة طاهـرة توجـد جيـلاً مصنوعـاً عـلى ضـوء شـخصية الإمـام الحسـين "عليـه السـلام"، جيـل مثـل أنصـار الإمام الحسين "عليه السلام".

(..وأنـوفٌ حميّـة، ونفـوس أبيّـة مـن أن تؤثـر طاعـة اللئـام)، يعنـي الحمـزة؟ رجـال بنـي هاشـم، انتبـه إلى طاعـة اللئـام، أمـا طاعـة الإمـام فـشرفٌ وعـزٌ وكرامـة وليـس ذلّـة، هنـا تهـين النفـس الأمّـارة بالسـوء، هنـا تـدوس شـهواتك، وهنـاك في طاعـة اللئـام تعلـوك شـهواتك، أنـت هنـا في طاعـة الإمـام المعصـوم "عليـه السـلام" سـيّد قرارك، وسـيّد نفسـك، وهنـاك نفسـك هـي السـيّد وقـرار نفسـك بهـواك، عقلـك هنـاك بيـد هـواك، وهنـا وفي طاعـة المعصـوم هـواك بيـد عقلـك، هـذا هـو الفـرق، ولذلـك المرفـوض هـو طاعـة اللئـام.

(..ألا وأنيّ زاحـفٌ بهـذه الأسرة عـلى قلّـة العدد وخـذلان النـاصر)، وكأنهـا في حكـم الأسرة الصغـيرة، سـبعون أمـام عشريـن وعـشرة آلاف وثلاثـين ألـف في رويـات أخـرى، مـاذا يعنـي؟ أسرة صغـيرة. تعيـش علاقـات الأسرة، أب وولـده، هـذه هـي الأسرة. (وخـذلان النـاصر) هنـا بيـان لسـوء وضـع الأمـة وسـوء موقفهـا، كيـف يُخـذل أبـو عبدالله "عليـه السـلام" وهـو الإسـلام كلّـه يومـذاك، أيـن وعـي الأمـة؟ أيـن غـيرة الأمـة؟ أيـن إرادة الأمـة؟ أيـن بصـيرة الأمـة؟ أيـن صلـة رسـول الله؟ أيـن المـودة في القـربى؟ أيـن القيـم الإسـلامية؟ أيـن الأحـكام الشرعيـة؟.. أمّـة غابـت عـن إسـلامها أو غُيّـب عنها إسلامها.

هذا شيءٌ من الحديث، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أهداف ثورة الحسين "عليه السلام"، ماذا تحقق منها وماذا لم يتحقق؟

جاء الإسلام رحمةً للعالمين، والإسلام كلمةٌ تُفهَم، وهي الكلمة التي تُطبّق، الإسلام للفهم وللتطبيق، وإذا كانت معرفة الإسلام رحمة فإنّ الرحمة التامّة والحقيقية والتي تُغيّر لون الحياة وتأخذ بالحياة إلى شاطئ الأمان وكأنما هي متمثلة في تطبيق الإسلام.

معرفة الإسلام مُقدمة، وتطبيق الإسلام هو الهدف، فإذا كان هدفٌ رئيس لثورة الإمام الحسين "عليه السلام" ولأي عملٍ إسلامي آخر ولأي حركة إسلامية في أي نقطةٍ من الزمان والمكان، الهدف الرئيس لهذا كلّه إنما هو قيادة الإسلام للأرض، قيادة الإسلام للإنسان، أن يقيم الإسلام كياناً عمليّاً شاملاً من صنعه داخل النفس البشريّة وفي أوضاعها الخارجية التي تملأ ساحة الحياة.

فالهدف الرئيس لثورة الإمام الحسين "عليه السلام" هو الهدف الرئيس للإسلام، وهدف إحياء ثورة الإمام الحسين لابد أن يكون هو الهدف الرئيسي للإسلام.

ما هو هدف الإسلام؟ ما هو هدف ثورة الإمام الحسين؟ ما هو هدف إحياء ثورة الإمام الحسين "عليه السلام"؟

أنْ يقوم الإسلام شاخصاً في كلِّ خاطرةٍ من خواطر النفس، في كل فكرةٍ من أفكار النفس، في كل شعورٍ من شعور النفس، في كل هدفٍ من أهدافها، أنْ يقوم شاخصاً في كل وضعٍ من أوضاع الحياة. أنْ نَشهَد الإسلام في السياسة، في الإجتماع، في الإقتصاد، في وضع الأسرة، في كل أوضاعنا، هذا هو الهدف الرئيس.

الإحياء يجب أن يتحرّك في مسار ما تحرّكت فيه الثورة، والثورة لم تتحرّك إلا في مسار الهدف الرئيسي للإسلام سواءً استطاعت أن تحققه أو لم تستطع أن تحققه بفعل الواقع العملي الذي كانت تعيشه الأمة، الواقع المتردّي الذي صنعه الحكم الأموي.

صحيحٌ كل الصحة أنّ ثورة الإمام الحسين "عليه السلام" لم تحقق -على المستوى القريب ليومها- حكم الله في الأرض، لم تعطي لحكم الله عزّ وجلّ الفاعليّة الشاملة في كل أوضاع الإنسان، وبقي الحكم اليزيدي فترة وجاءت من بعده ألوانٌ من الحكم لا تختلف عنه، هذا صحيح ولكن كان أيضاً هو الهدف الرئيس وما كان المانع من نقص تخطيطٍ عند الإمام الحسين "عليه السلام"، ولا من نقص عزمٍ ولا من تضحيةٍ إنما من سوء أوضاع الأمة التي صنعها الحكم الأموي.

هذا هو الهدف الرئيس، لم يتحقق بالشكل العاجل، هناك أهداف مقدّمية ذات قيمة فعليّة في ذاتها، لم تكن مُقدمة فقط للهدف الرئيس وإنما كانت تمتلك قيمةً عاليةً في حدّ ذاتها، وهي في نفس الوقت تُعتبر طريقاً للهدف الرئيس وتفتح الطريق لهذا الهدف المقدّس الكبير الذي جاءت من أجله كل الرسالات، أنْ تجد الأرض الإسلام الرحمة واقعاً حيّاً في حياتها.

ما هي هذه الأهداف المُقدّميّة؟

- أنْ تبقى الصورة الإسلامية على واقعها من غير تحريف ولا تزوير.
- أنْ لا يُقلب الإسلام رأساً على عقب في نظريّته وأطروحته.
- أنْ لا يُصنع إسلامٌ أرضيٌ قائمٌ على الهوى من صنع السياسة الجاهليّة مقام الإسلام في عقول الناس وفي نفوسهم فضلاً عن واقعهم الخارجي.
- أنْ يقوم إسلامٌ مزّوّرٌ أو واقعٌ صريحٌ في بُعده عن الإسلام في حياة الناس.

درجةٌ فضيعةٌ من السوء وكارثة لكن أن تخفى الصورة الإسلامية ويبحث الباحث المُطالب للحق عن الإسلام فلا يجد سبيلٌ للوصول إليه فإنّ الكارثة أعظم وفي هذا إنتهاء فاعليّة كل الرسالات وإنتهاء الأمل في أن تحيا الأرض وتضيء بنور الله تبارك وتعالى من بعد حين.

الصورة الإسلامية بقيت، هذا الهدف تحقق، توجد الصورة الإسلامية الناصعة النقيّة والتي لا يخفى خافٍ منها على مستوى المُهمّات الكبرى، والخطوط العريضة، الخطوط التفصيلية الكثيرة، الأحكام الجزئية، لا تخفى على من طلب الحقيقة.

بقي الطريق مفتوحٌ لثورة الإمام الحسين "عليه السلام" للوصول إلى هذه الصورة، والشاهد على ذلك حيٌ، أنت الآن بجُهدٍ مقبول، مسيحي، متعصّب ناصبي يستطيع أن يصل إلى الإسلام الصحيح الذي لا نجده كامل الصحة نقيّاً صافياً كما نجده في مدرسة أهل البيت "عليهم السلام". لا نجده مفصولاً عن أهل البيت، لا نجده مفصولاً عن ولاء أهل البيت "عليهم السلام"، هذه الصورة من الإسلام الطريق إليها مفتوح أمام المسلم وأمام غير المسلم.

- إبقاء الإنتماء الإسلامي العام للأمة، كان النظام الأموي وما بعده من أنظمة جدّت من النظام العباسي والعثماني وغير ذلك، باستمرار هذه الأنظمة كان يتوّقع للأمة أن تختلف عن الإسلام، أن تفارق الإسلام، كيف؟

بأن يتكثّف التزوير للإسلام، تغيب الصورة الإسلامية شيئاً فشيئاً، يغرُب الإسلام عن النفس المسلمة، يتغرّب المسلم عن الإسلام، تحْدُث فاصلة فكرية هائلة بين واقع المسلم وفكر المسلم وبين الإسلام، تحْدُث فاصلة هائلة بين نفسيّة المسلم والإسلام، الإسلام يكون في القمة.. الإنسان المسلم يكون في الحضيض، يصعب عليه أن يرتقي له فلابد أن يكفر به.

بأن يقوم واقع يحتاج إلى تبريرٍ خارج الإسلام، السياسة تبرر هذا الواقع، تتلاشى الصورة الإسلامية شيئاً فشيئاً، فنكفر بالإسلام ولو في مساحةٍ عريضة منه ولا نقبل الحلّ الإسلامي.

كان يُخاف على المسلمين أن يختلفوا عن الإسلام، أن يكونوا كلّهم في طريق -لا شيعي ولا سني- كلّهم في بُعدٍ عن الإسلام، هذا لو استمرّ الحكم ليزيد في نوعه، -النتيجة هي هذه- أنْ تنخلق أمة غريبة على الإسلام والإسلام غريبٌ عنها، وهذا ما حمْت منه ثورة الإمام الحسين "عليه السلام"، وصار المسلمون -شيعةً وسُنّة- يختلفون على الإسلام لا عن الإسلام -هذا يقول الإسلام مع الشورى، وهذا يقول بأن الإسلام يأخذ بوصيّة الإمام بالتعيين من الله ورسوله، هذا يقول المتعة حلالٌ وهذا يقول المتعة حرامٌ في الإسلام، وهذا يحتجّ بالقرآن والسُنّة وهذا يحتجّ بالقرآن والسُنّة، هذا اختلافٌ داخل الإطار الإسلامي، اختلافٌ في الفهم للإسلام، اختلافٌ في الإسلام- أمّا لو استمرّ حكم يزيد نوْعاً فإنّ الحاصل سيكون (في أمان الله للإسلام)، ليس هناك إسلام .

الذي لا يصلّي لعشرين سنة عندما يريد أن يبرّر ذلك فإنّه يقول بأنّ الإسلام خرافة وأنّ تشريع الإسلام خطأ، ابتدأ مُقصّراً ولكنه إنتهى إلى الكفر بالحكم.

هذا بالنسبة لإبقاء الإنتماء العام للإسلام.

كذلك:

- إبقاء نموذج عملي إيماني نامي، الإسلام يحتاج النموذج العملي على الأرض، إسلام النظرية يحتاج إلى نموذج عملي على الأرض، يبرهن على صدق الإسلام النظري ويعكس جاذبيته إلى الناس، يعطي برهاناً على قدرة الإسلام على صنع الإنسان النموذجي الكامل، هذه دعوة للإسلام فوق دعوة اللسان، وأكثر أثراً من دعوة اللسان. وهذا يعطي أملاً في أن نتحرك في إتجاه نموذج إسلامي يُغرينا، التحرك في اتجاه واقع إسلامي عريض وكبير لأننا نجد في هذا النموذج نموذجاً رائعاً -نموذج الفئة المؤمنة الملتزمة الرسالية التي تعيش حالة الصدق، حالة الوفاء، حالة الأمانة، حالة

الجدّيـة، حالـة الفاعليّـة، حالـة الرحمـة بالمسـلمين، حالـة الحـرص عـلى مصلحـة الإنسـان كلّ الإنسـان- هـذا النمـوذج مغـري للدفـع بالمجتمـع الإسـلامي كلّـه وبالبشريـة كلّهـا في اتجـاه الوصـول إلى أكـبر صـورة ممكنـة عـلى الأرض مـن مثـل هذا النموذج.

هـذا أبقتـه ثـورة الإمـام الحسـين "عليـه السـلام" بتربيـة جماعـةٍ مؤمنـة كانـت تتسـع شيئاً فشـيئاً عـلى يـد الأئمـة الأطهـار مـن بعـد الحسـين "عليهـم السـلام".

- إسـقاط الشرعيّـة مـن أي حكـمٍ جاهـليٍ نوعـاً، وليـس شـخصاً، المُسـقَط ليـس شرعيـة حكـم يزيـد عـلى المسـتوى الشـخصي لذلـك الحكـم، أُسـقِط نـوع الحكم الجاهلي كلّه، في الزمن كلّه وفي المكان كلّه.

كـما أسـقطت ثـورة الإمـام الحسـين "عليـه السـلام" الشرعيّة -في نظر الأمـة وفي نفسيّة الأمـة- عـن حكـم يزيـد، أسـقطته عـن أي حكـمٍ قائـمٍ في الأرض لا يمتلـك الشرعيّـة القرآنيـة القائمـة عـلى القـرآن وعـلى سُـنّة محمـد "صـلى اللـه عليـه وآلـه".

هـذا ببسـاطة، أنـت لا تجـدُ مسـلماً اليـوم يؤمـن بالإسـلام ويتعبّـد بالإسـلام يقـول لـكَ أنّ الحكـم البعثـي في العـراق مثـلاً -صـدّام الـذي يُعلـن عـن نفسـه بأنـه ليـس إسـلامياً-، أنّ الحكـم الـوراثي المُعـيّن الـذي لا يعتمـد عليـه الإسـلام ولا يدّعـي الإنطـلاق مـن فهـم القـرآن وفهـم السُـنّة، وإنما يقـول أنّـه حكـمٌ ورثتـه مـن أبي، هـذا لا يقـول مسـلم متديّـن بالإسـلام بأنّـه حكـمٌ شرعـي، هـو يخضـع لـه بحكـم الواقـع خضوعـاً عمليّـاً ولكـن لا يُؤمـن بـه ولا يجـده يمّثـل الإسـلام، ويجـده منافيـاً كل المنافـاة للإسـلام، هـذا معنـى إسـقاط الشرعيّـة، وهـذا الإسـقاط لم يكـن مقتـصراً عـلى حكـم يزيـد فقـط إنمـا عـلى كلّ حكـمٍ مماثـلٍ لحكـم يزيـد لم يقـمْ عـلى أساسٍ مـن كتـاب اللـه وسُـنّة رسـوله "صـلى اللـه عليـه وآلـه".

إضفـاء الشرعيّـة عـلى التحـرّك في وجـه أي نظـامٍ جاهـليّ يسـتهدف بيْضـة الإسـلام، يسـتهدف هويّـة الأمـة الإسـلامية، يتعامـل مـع النـاس عـلى أنّهـم عبيد، وعـلى أنّهـم مملوكون كـما كان يزيـد قـد فعـل، فقـد طلـب مـن واليـه عـلى المدينـة أو قائـد جيشـه عـلى المدينـة أن يأخـذ البيعـة مـن أهـل المدينـة بعـد سـنة واحـدة مـن استشـهاد إبـن رسـول اللـه "صـلى اللـه عليـه وآلـه" بأنّهـم عبيـدٌ إلى يزيـد، أن يبايعـوا -هكـذا- عـلى أنّهـم عبيـدٌ ليزيـد.

ثـورة كربـلاء، ثـورة الإمـام الحسـين "عليـه السـلام" أضْفَـت الشرعيّـة عـلى التحـرّك في وجـه هـذا النـوع مـن الحكـم الجاهـليّ الظـالم -أيضـاً نوعـاً- سـواء كان حكـم يزيـد أو حكـماً مماثـلاً لحكـم يزيـد -منطلقـه منطلـق حكـم

يزيد، بحيث يكون منطلقه حق الوراثة والهوى-.

كيف لا تُضفى الشرعيّة على هذا النوع من التحرّك والحسين "عليه السلام" كان منطلق ثورته هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

[هل حرب الحسين "عليه السلام" من الجهاد الابتدائيّ؟]

هل حرب الحسين "عليه السلام"، مواجهته للحكم اليزيدي، هل كان داخلاً في دائرة الجهاد الإبتدائي؟ من الطبيعي لا، لم تكن ثورة الإمام "عليه السلام" من نوع الجهاد الإبتدائي الذي يدعو الكفّار إلى الإسلام، المقابل لجيش الإمام الحسين هو جيش من المسلمين، ولم تأتي كلمة من الإمام الحسين تقول بأن يزيد قد كفَر، تقول فاسق، تقول بأنه قاتل النفس المحترمة، تقول بأنه معلنٌ للفسق، مجاهرٌ لمعصية الله، محلٌّ لحرام الله مُحَرِّمٌ لحلاله. هذه هي المضامين التي يمكن أن نجدها في كلمات الإمام الحسين "عليه السلام" في تشخصيه لشخصية يزيد.

هل هناك حربٌ دفاعيّة؟

يعني أنّ هناك غزوٌ كافر على حدود بلاد المسلمين يستوجب هبّة المسلمين في وجهه؟ ما كان الأمر كذلك أيضاً.

فليست حركة الإمام الحسين، ثورته، داخلةً في نطاق الجهاد الإبتدائي ولا الجهاد الدفاعي، وتصريحه "آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر"، "الإصلاح في أمة جدي"، منطلقه هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كانت عقبة موجودة، لم يكن هناك فهم بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُعطي الرُخصَة للتحرّك في وجه الظالم، في وجه المتآمر على الإسلام، على الأمة، مع كُلفة الدماء، هذا لم يكن مفهوماً، ولا زال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروطاً في حدوده المعروفة العاديّة بأن لا يكون هناك ضرر، ومعروفٌ أنّ التقيّة كانت قائمة ولا زالت قائمة تشريعاً في الإسلام.

جاءت ثورة الإمام الحسين "عليه السلام" لتستثني هذا المورْد، مورد الدفاع عن بيْضة الإسلام في وجه تآمرٍ داخليٍ من أهل الإسلام.

ثورة في وجه تبديل الهويّة للأمة الإسلامية، في التعامل مع الناس على أنّهم عبيدٌ وأموالهم مملوكة، نفوسهم مملوكة، كلّ ذلك للخليفة الشرعيّ أو غير الشرعيّ.

ثـورة الإمـام "عليـه السـلام" قالـت بـأنّ هـذا المـوْرد يـأتي فيـه الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر وإنْ كلّـف الدمـاء، وإنْ كان لا يلتقـي مع التقيّة.

التقيّة لماذا؟

التقيّـة لحفـظ الإسـلام قبـل حفـظ النفـوس، للإحتفـاظ بالفئـة المؤمنـة في وقـتٍ لـو ذهبـت أو ذهـب منهـا عـددٌ كبـير لضـاع الإسـلام، التقيّـة لحفـظ الإسـلام، ليـس هنـاك شيءٌ فـوق الإسـلام، دمُ الحسـين فـوق كل دم وقـد ضحّـى بـه مـن أجـل الإسـلام.

فـإذا كان الخـوف عـلى الإسـلام لم تـأتي التقيّـة لتعطيـل دفْـع هـذا الخـوف، وتعطيـل الفاعليّة التي تُنهي هذا الخوف.

ثـورة الإمـام الحسـين "عليـه السـلام" المباركة أضْفَـت الشرعيّـة عـلى التحـرّك في وجـه الجاهليّات الداخليّـة كـما هـي الجاهليّـات مـن الخـارج -ليـس هنـاك فـرق بـين أن يقـضي عـلى الإسـلام شـخصٌ يرفـع عنـوان الكفـر ويعلـن كفـره ويحمـل رايـة الكفـر الصريحـة وبـين مسـلمٍ يتسـمّى بالإسـلام ويُظهـر المظهـر الإسـلامي وهـو يكيـد بالإسـلام ويتآمـر عـلى الإسـلام، لا فـرق بـين إسـقاط الإسـلام عـلى هـذه اليـد أو عـلى تلـك اليـد الأخـرى-.

تعزيـز مكانـة البيـت النبـوي في المسـلمين الذيـن يحتاجـون إلى هـذا البيـت، كان المتوقع أن تحـدث فاصلـة واسـعة كبـيرة جـدّاً، وعِـداء فكـري وعِـداء نفـسيّ مـن الأمـة لأهـل البيـت "عليهـم السـلام"، كان هـمّ يزيـد هـو هـذا، إذا بقـي أهـل البيـت "عليهـم السـلام" في قلـوب المؤمنـين وفي أفكارهـم يخـترب العمـل عـلى كل حكـمٍ جاهـلي، حتـى يأمـن الحكـم الجاهـلي عـلى نفسـه لابـد أن يُطـرد أهـل البيـت "عليهـم السـلام" مـن نفـوس المسلمين ومـن أفكارهـم حتـى لا تبقـى باقيـة لذكر أهل البيت.

هنـا ضرورة أن يبقـى موقـع أهـل البيـت "عليهم السـلام" في الأمـة بمقـدار، أنْ لا تفـارق الأمـة أهـل بيـت نبيّهـا المفارقـة التامّـة، آيـة المـوّدة بقيـت عـلى لسـان الشـيعي والسـني، ولا يسـع شـيعيّاً ولا سـنيّاً أن يعلـن عـداءه لأهـل البيـت في يومنـا هـذا، إرتبـاط الأمـة بأهـل البيـت "عليهـم السـلام" ولتميّـز أهـل هـذه البيـت عـن غيـره مـن أهـل البيـوت، ليـس هنـاك بيـتٌ ثـان في القـرآن وفي السُـنّة وفي فهـم المسـلمين أن بغضـه كفـر، ليـس هنـاك بيـت إلا بيـت أهـل البيـت "عليهـم السـلام، هـذا هـو إنكسـار حكم يزيـد وهيبتـه وقدسـيّته المكذوبـة وشرعيّتـه المكذوبة في نفوس المسلمين.

الثـورة أرجعـت الأمـة إلى إكبـار أهـل البيـت "عليهـم السـلام" وتقديـس أهـل البيـت "عليهـم السـلام" وإنْ لم يتخذهـم البعـض أئمـةً عـلى المسـتوى العمـليّ.

الثورة حيّة، كيف نُحييها؟

الإحياء لمن؟

لنا نحن.. إحياءٌ لأفكارنا، لقلوبنا، لحياتنا، لأوضاعنا العمليّة، لعزّتنا، لكرامتنا، لدنيانا، لآخرتنا. إحياؤكم، البذل من المؤمنين لا يُبذل للإمام الحسين "عليه السلام" إنما يبذلونه لبناء أنفسهم، لتغيير واقعهم، للخروج من الظلمات التي يعيشونها إلى النور، من الأسر إلى الحريّة، من العبودية إلى الحريّة، من حالة القهر إلى فضاء فسيح يعبرّون فيه عن ذاتهم الإسلامية وذاتهم الإنسانيّة، الإحياء لهذا.

بِمَ نُحييها؟ بفكر كربلاء، بإرادة كربلاء، بهدف كربلاء، بالأحكام الشرعيّة في كربلاء، بشخصيّة الإمام الحسين "عليه السلام"، بالإسلام نُحيي وجودنا، نُحيي حياتنا، حياتنا حياة جسديّة بأنْ تحيى الروح، يحيى القلب، تحيى العزّة، تحيى الكرامة، بأنْ نعيش الهدف الكبير، بأنْ لا نكون في مستوى هدفنا صراصير وفئران.

الحكم الجاهلي من الأمس إلى اليوم -وهو يبقى هكذا- أنّه يريدك تعيش للقمةٍ تبيع كلّ وجودك من أجلها، تركض ورائها ليلاً نهاراً وتذلّ وتسجد للطغاة من أجل هذه اللُقمة، هذا هدف صرصور، هدف فأر، هو هذا الهدف أن يأكل ويشرب. نريد أن نرتفع بمستوى هدفنا، ولا نرتفع بمستوى هدفنا إلا بالإسلام، بثورة الإمام الحسين "عليه السلام".

عمليّة الإحياء حتّى تُحيينا لابد أن تخضع للإسلام، للحسين "عليه السلام"، هدفاً، مفاهيماً، فاعليّةً، إرادةً، أخلاقيّة، قيماً.

عندما نُخضع كلّ إحياءنا للإسلام، لثورة الإمام الحسين "عليه السلام"، لإمامة الحسين "عليه السلام"، عندما يقود الإحياء الحسين "عليه السلام" في كلّ كليّة وجزئية من كلّياته وجزئياته وتفصيلاته، هنا يكون الإحياءُ مُحيياً، وإلا هناك صور من الإحياء يمُكن أن تمُيت، اسمها إحياء وهي إماتة وهي إقبارٌ لوجودنا، تخلّفٌ بنا، وهذا ما يعمل عليه الطغاة، يريدون منّا اسلوب إحياء يمُيت الإسلام في حياتنا، يريدون منّا إحياء باهتاً، مزّوراً، شكليّاً، إحياءً مُجيَّراً لهم، يخدم مصالحهم. الطغاة يريدون منّا هذا الإحياء.

هناك إحياءٌ مُميت، وهناك إحياءٌ باعث، دافع، مثير، منبّه، يضعكَ على طريق الإرادة الحرّة المُنطَلِقة.

هذا النوع من الإحياء، النوع الثاني من الإحياء، لا يأتي به إلا حضور الإسلام في كلّ جزئية، في كلّ صغيرة وكبيرة من ممارسات العزاء ومن كلمات العزاء، من خطيب المنبر الحسيني، إلى آخره.

[الهدف من إحياء عاشوراء]

ونحن نُحيي عاشوراء، ماهو الهدف؟

لابد أن نحمل هذا الهدف في أفكارنا وأنفسنا، أنْ يقوم الإسلام، أنْ يقود الإسلام الحياة. الهدف للإحياء، للقراءة، للموكب، للبذل، للطم، شيءٌ واحد هو أن يحضر الإسلام الساحة، أن يحكم الإسلام الساحة، ليس ساحة بلدٍ معينّ إسلامي، الأمة كلّها، الإنسانية كلّها.

الإحياء.. لماذا؟

إذا كان الإحياء لثورة الإمام الحسين "عليه السلام"، للإسلام الصحيح، فلابد أن يحكم هذا الإحياءُ الإسلامُ وتحكمه الثورة، إذا كان الإحياء للثورة وللإسلام لابد أن يأتي هذا الإحياء على الخط نفسه الذي هو عليه خط الإسلام وخط الثورة -تميل يميناً أو شمالاً عن هذا الخط يكون هذا الإحياء لعائلتك، لقبيلتك، لمأتمك، إحياء لوضع جاهليّ-.

- الإحياء الذي هو إحياءٌ للإسلام وللثورة هو الإحياء الذي لا يَعْدل قيد شعرة عن خطّ الإسلام في كلّ مجالاته وأهدافه ونواحيه وممارساته وما إلى ذلك.

- إحياء من أجل أن يفهم المسلمون مدرسةَ كربلاء، أن يفهموا الحسين "عليه السلام"، أن يفهموا أهل البيت "عليهم السلام"، أن يفهموا الإسلام، هذا الإحياء يجب أن يؤدي هذه الرسالة، أن يستهدف هذا الهدف، أن نُفهم أنفسنا والناس الإسلام، ليس الإسلام القشريّ وإنما إسلام اللُباب.

- لِيتجه المسلمون لتغيير واقعهم المؤلم السيء من صُنع جاهليّات الأرض. فهم تغييري على مسار الفهم وبإيحاء هذا الفهم الجديد للإسلام، الفهم الصحيح القويّ.

- إحياء لإظهار الدين كلّه على الكفر كلّه في الأرض.

- وكيف يكون الإحياء إحياءً حقّاً لعاشوراء، لثورة الإمام الحسين "عليه السلام"، للإسلام؟ لابد من فهم الإسلام، فهم الحسين، فهم الزمان، فهم المكان.

ماهو مقتضى الزمان؟ ما هو مقتضى المكان؟ لديّ حكم شرعي، -وقد يكون في المورد الواحد أكثر من حكم شرعي لإختلاف الظروف بحسب تشخيص الموضوع- ، لابد أن أفهم الزمان، أفهم المكان، أفهم الحكم، يأتي تفعيل وتطبيق الحكم المناسب للمكان أو بما يراعي المكان والزمان.

نفهم الإسلام، نفهم الحسين، نفهم كربلاء، نفهم زماننا، نفهم مكاننا. لابد من فهم الثورة هدفاً، مُنطلقاً، اسلوباً، أثراً، دروساً، أي درس من دروس كربلاء لابد أن نحصل عليه، نحاول أن نستجمع، أن نُحَصّل، أن نُرَاكم معرفتنا بدروس الثورة الحسينية.

- أنْ يكون الإحياء اسلوباً من أساليب تطبيق أهداف كربلاء، وأخلاقيّة كربلاء، وأحكام كربلاء. هذا الإحياء لا يأتي شاذّاً في هدفه، في أسلوبه، في مطروحاته، في تعامله، لا يأتي شاذّاً عن حكم الإسلام وأخلاقيّة إسلامية وهدف سليم إسلامي وحرص على وحدة المسلمين، كلّ هذا يستجمعه إحياء عاشوراء على المستوى التطبيقي العمليّ، وليس فقط شعارات، أخلاقيّة المعزّين، أخلاقيّة الخطيب، أخلاقيّة إدارات المآتم، اسلوب تعاملهم، علاقاتهم مع بعضهم البعض، بذلهم، إلى آخره، كل ذلك يأتي تطبيقاً في مجالهم هذا لما عليه الإسلام. هذا حتى يأتي الإحياء مؤدّياً لأهدافه، ومطابقاً لثورة الإمام الحسين "عليه السلام".

الإحياء يقوم بتقديم الحسين "عليه السلام" وأهل البيت "عليهم السلام" كما هم في مستواهم وكما هم في دين الله تبارك وتعالى.

- أنْ نصنع واقعنا مُحاكياً لثورة الإمام الحسين "عليه السلام"، لا بمعنى أن نقوم بثورته كما هي، وإنما لنجاري في واقعنا الخارجي -نحن صغنا عملياً واقع إحيائي موكبي على نمط وسمات وأهداف الإسلام- في البيت، في المجتمع، في العمل، في كل مكان، نُقيم واقعاً إسلاميّاً في حياتنا يعطي صورةً عن الإسلام.

- أنْ يشهد لإمامة الحسين "عليه السلام" بالتقدّم، بالتميّز، بأنها قيادة تفتش عنها من بين قيادات الأرض فلا يمكن أن تجد.

- إحياء لا يبقى في مستنقع الأرض، وعند مستوى الولاءات الصغيرة. هذا يُحيي قبيلته باسم الحسين، إحياء دنيوي، إحياء شهرة، إحياء سمعة. ذاك يُحيي حسينيّته، ذاك يحيي منطقته، وذاك يُحيي حزبه، ذاك يُحيي فئته، هذه إحياءات تنطلق من ولاءات صغيرة محدودة مقيتة في دين الله هنا نحن نقيم آلهة من دون الله عزّ وجل نعبدها بهذا الإحياء. هنا كلّما أعطيت رَبطاً بين نفسك، بين شعورك، وبين ولاءك لقبيلتك على حساب ولاء الله، بينك وبين ولاء مأتمك، بينك وبين ولاء حزبك، كلما حصل فاصل بينك

وبين الله عزّ وجل، لا يصح أن تقترب من طرفين متقابلين بخطوة واحدة، الخطوة لابد أن تكون في اتجاه هذا الطرف أو ذاك الطرف، لديّ خطوة من الإحياء في اتجاه مأتمي ووِلاء مأتمي وسمعة مأتمي وشهرة مأتمي، مأتم آل فلان، مأتم أهل المنطقة الفلانية، هذه الخطوة يمكن أن تأخذني في اتجاه ولاء الله أو باتجاه معاكس. بمقدار ما أنشدّ لهذا الولاء أنفصل عن ذلك الولاء. هنا الخطورة.

• إحياءٌ نحشُد له كل خبراتنا، كل كفاءاتنا، كل جهودنا، كل إمكاناتنا الماليّة، كل وقتنا، نحشُد له كلّ ما نملك لكن في حدود رسم خطّة واعية تستقبل محرّم في كلّ عام، تستهدف التطوير، تستهدف الإلتزاميّة أكثر بثورة كربلاء، بخطّها، بأخلاقياتها، خطّة تلتفت إلى تأثير الزمان والمكان، إلى مصلحة الإسلام، إلى نقاء الإسلام وصفائه وصدقه، وهذه الخطّة من أجل تنفيذها نحشُد كلّ ما نملك ممّا يحتاجه الإحياء. عشرة أيام هي عن سنة أو أكثر من سنة، والجهود التي تُبذل الآن ضخمة جداً لكنها تحتاج إلى خطّة، وتحتاج إلى تنسيق، وتحتاج إلى إخلاص نيّة، وتحتاج إلى توّجه لله تبارك وتعالى.

الإحياء لابد أن يخضع للدراسة والتخطيط والتطوير دون الإرتجال والعشوائية وحالة الجمود، وكلّ عام نستقبل بخطّة مرسومة جديدة تراعي التغيّرات ومقتضى الظروف المُستجدّة.

• إحياء يراعي جنبتين مهمّتين جدّاً، الجهة الأولى: هي إظهار الحقيقة، حقيقة الإسلام، وتقديم الإسلام في صدقٍ ومن غير تزوير ومن غير مواربة، والأمر الثاني المهم: وحدة المسلمين.

كيف نوائم بين تقديم إسلامٍ صحيح للعالم، وبين وحدة المسلمين، لابد أن نملك هذه القدرة على الملاقاة بين وحدة المسلمين وبين إظهار الحقيقة، وبين العمل على وحدة المسلمين وإظهار الحقيقة.

• وفي الأخير، إحياءٌ يُخلص لله، لا يأتي إلا بما يُرضي الله، وإلا ما فيه صلاح المؤمنين والمسلمين جميعاً بل الإنسانية كلّها، ها نحن ورثة فكر الإمام الحسين "عليه السلام" ونفسيّة الإمام الحسين ورحمة الإمام الحسين، لابد أن نُشفق على الإنسان كلّ الإنسان.

غفر الله لي ولكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كـما أسـقطت ثـورة الإمـام الحسـين "عليـه السـلام" الشرعيّـة -في نظـر الأمـة وفي نفسـيّة الأمـة- عـن حكـم يزيـد، أسـقطته عـن أي حكـمٍ قائـمٍ في الأرض لا يمتلـك الشرعيّـة القرآنيـة القائمـة عـلى القـرآن وعـلى سُـنّة محمـد "صـلى اللـه عليـه وآلـه".

مركز المقاوم للثقافة والإعلام